وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإسلامية / جامعة ديالى

قسم علوم القران والتربية الإسلامية

المشكل وأثره في منهج القرآن الكريم

بحث تخرج مقدم الى رئاسة قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

كجزء من متطلبات نيل شهادة البكلوريوس

إعداد الطالب:

بشير رشيد هادي

إشراف الأستاذ:

أ.د عماد أموري جليل

١٤٤٦ هـ

٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات		
*	المقدمة	١
المبحث الاول	المشكل وأهمية معرفته والحكمة من وجوده	٣
المطلب الأول	تعريف المشكل لغة واصطلاحاً	٤
المطلب الثاني	أهمية معرفة المشكل	٥
المطلب الثالث	الحكمة من وجود المشكل	٧
المبحث الثاني	دراسة لبعض الأمثلة التطبيقية لمشكل القرآن الكريم	٨
المطلب الأول	الإشكال الواقع بسبب تعارض الآية مع الحديث النبوي	٩
المطلب الثاني	الإشكال الواقع بسبب خفاء المعنى	١٣
المطلب الثالث	الإشكال الواقع بسبب التقديم والتأخير.	١٧
٢	الخاتمة	١٩
*	المصادر والمراجع	٢٠

المقدمة

فإن من ضوابط التفسير التي اهتم بها المفسرون وعكف عليها الباحثون فنالت من اهتمامهم وافر النصيب، وتجلت فائدتها لكل ناظر لبيب: مشكل القرآن.

والمراد به: ما يوهم التعارض بين الآيات، وكتاب الله محكم الآيات، واضح البينات، قد بلغ الغاية في الإحكام والإتقان، أخباره صدق وحق، وأوامره خير وهدى وعدل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يتطرق إليه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه.

فإن ما يراد به هنا من المشكل، لا يقصد به آيات القرآن فهي في أصلها خالية مما يشكل ويلتبس في معناها أو مبناها، لأنه من لدن حكيم خبير، لكن المشكل وما قد يلتبس هو بالنسبة للناظر في آيات القرآن فهي راجعة إلى نظره وفهمه لا إلى الكتاب وأصله..

وأيضاً فإن دعوى الإشكال أمر نسبي، فقد تشكل بعض النصوص على بعض المفسرين بينما هي عند غيرهم بينة المعنى ظاهرة المراد، وقد تكون بعض الآيات عند قوم من المشكلات وهي عند سواهم من الواضحات، ولعل الاختلاف في هذا يعود إلى سعة العلم وقوة الفهم وما يمنّ الله به من الفضل ويمنحه من العطاء، وكلامه تعالى منزه عن ذلك كله، كما قال تعالى : أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ

وقد قرأت في هذا الموضوع ونظرت فيه فتكونت أفكار وأسئلة تتبادر إلى الذهن عند تناول هذا العلم، تحريت أن أوفق فيها للإجابة، وأن أهتدي بعون الله للإصابة، فبدأت مستعيناً بالله متوكلاً عليه بكتابة هذا البحث الذي يتكون من مبحثين حيث يناقش المبحث الأول المشكل لغة واصطلاحاً واهميته والحكمة من إيجاده ،أما المبحث الثاني يتضمن دراسة لبعض الأمثلة التطبيقية لمشكل القرآن الكريم واخيراً الخاتمة ثم المصادر .

أهمية البحث:

تظهر أهمية الموضوع في كون الإشكال الطارئ على قارئ القرآن يحول بينه وبين التدبر فينبغي معرفة هذا العلم لدفع أسباب الوقوع في المشكل والتعرف على طرق دفعها ،إضافة إلى أن دراسة هذا العلم سبيل الى زيادة الأيمان لاطمئنان النفس إلى معاني كلام الله عز وجل وأنها حق لا اختلاف فيها فالموضوع مهم في حد ذاته لأن له علاقة بكتاب الله والإيمان الصحيح والعقيدة السليمة هذا من جانب ومن جانب آخر مخالطة المسلمين لغيرهم في البلدان المختلفة حيث تحوم الشبه والشكوك ومظاهر الشرك فأصبح الدين في غربة عندهم فالواجب تبسيط هذه المشكلات ورد على هذه الشبهات سواء بالمشافهة أو الكتابة فكلها نافع في إظهار المعتقد الصحيح والطريق السليم.

أهداف البحث:

١ـ معرفة معنى المشكل.

٢ـ الوقوف على بعض حكم وجود المشكل في القرآن.

٣ـ الوقوف على بعض طرائق المفسرين في دفع الإشكال عن كتاب الله تعالى من خلال دراسة بعض الآيات القرآنية التي وقع فيها الإشكال.

حدود البحث:

١. يقتصر هذا البحث على موضوع "المشكل وأثره في منهج القرآن الكريم"، وذلك باستعراض الآيات المشكلة والأسباب التي أدت إلى وقوع الإشكال فيها، وما الآثار التي ترتبت على هذه الإشكالات من حيث الفهم للنص القرآني.

٢.تظهر هذه الدراسة عظمة القرآن الكريم من خلال قدسية نصوصه وسلامتها من التناقض، وذلك باستعراض الآيات التي وقع فيها الإشكال ودفع إيهام الاضطراب عنها من خلال المنهج العلمي.

المنهج المتبع في البحث:

المنهج المتبع في كتابة البحث هو (المنهج الاستقرائي التحليلي)، وتتمثل أهم مفرداته وخطواته في الآتي: يتضمن البحث دراسة بعض الآيات القرآنية التي وقع فيها الإشكال عند المفسرين من حيث وجود الإشكال حقيقة أو توهم وجوده، وذلك من خلال ذكر الآية وبيان موضع الإشكال فيها ثم الجواب ودفع الاشكال من أقوال أهل العلم .

المشكل وأهمية معرفته والحكمة من وجوده

المبحث الأول : المشكل وأهمية معرفته والحكمة من إيجاده

١ـ المشكل لغة واصطلاحا:

أـ المشكل لغة: هو الشبه والمثل، والمشاكلة: الموافقة، ومشكل الشيء صورته المحسوسة والمتوهمة، وأشكل الأمر: التبس، ويقال للأمر المشتبه مشكل، وأشكل عليّ الأمر إذا اختلط (١) ،فهو ما يجعل الأمور متشابهة فلا تعرف أيهم الوجه الصحيح.

ب- المشكل اصطلاحا:

يوجد مصطلح المشكل في عدد من العلوم كأصول الفقه، الحديث، التفسير، فهذا المصطلح ليس خاصا بعلم التفسير فقط، وسنقتصر على تعريفه في علم التفسير فنقول المشكل: ما التبس على المفسر من ألفاظ القرآن أو معانيه، أو: ما أشكل فهمه ومعناه على كثير من المفسرين من ألفاظ القرآن أو معانيه، لأن الإشكال أمر نسبي فقد تشكل آية على مفسر ولا تكون مشكلة على مفسر آخر(٢).

وقال السيوطي ـ رحمه الله ـ في المشكل هو :ما يوهم التعارض بين الآيات وكلامه سبحانه منزه عن ذلك(٣) · كما قال:" لو كان من عند غير الله لوجدوا في اختلافا كثيرا" (النساء:٨٢)، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اخلافا وليس به في الحقيقة، فاحتيج لإزالته (٤) .

سبب الإشكال: أن تكون الكلمة في موضع دالة على معنى ولا تدل عليه في المواضع الأخرى التي وردت فيها أو قد تتعدد المعاني في لفظ واحد ويشكل على السامع المعنى المراد بها في هذا الموضع وعلى هذا فالمشكل أشد إبهاما من الخفي(٥).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ،الجزء ١١، ص:٣٥٦ / قاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص:١٣١

(٢) صالح بن سعود، طرق دفع الإشكال في آيات القرآن: ص:١٤

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤-١٩٧٤،الجزء الثاني، ص: ٢٧.

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،مرجع سابق ،الجزء الثالث، ص: ٨٨.

(٥) الصباغ : محمد بن لطفي الصباغ ، بحوث في اصول التفسير ص ٢٦٢ .

٢ـ أهمية معرفة المشكل:

أن معرفة المشكل للمفسر أمر مهم جدا، ذلك لأن بعض قصّار النظر والجهلة والمغرضين من أعداء القرآن، بمجرد ما يعرض لهم شيء من المشكل يظنون في القرآن تعارضا وتضاربا، وربما يتتبعونه، وقد تنبه لخطورة هذا الأمر العلماء قديما وحديثا حتى أصبح تأويل المشكل علما كاملا، كتب فيه ابن قتيبة كتابة (تأويل مشكل القرآن) والسيوطي تناوله في(الإتقان في النوع الثامن والأربعين :في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض) وكتب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي كتابة (دفع الإيهام والاضطراب عن آيات الكتاب)(١)

وعند تأمل هذا الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه لتعرف أهمية معرفة المشكل بالنسبة للمفسر وطالب التفسير والداعية وعموم المسلمين :جاء رجل إلي ابن عباس فقال: رأيت أشياء تختلف عليّ من القرآن، فقال ابن عباس :ما هو؟ أشك؟ قال :ليس بشك، ولكنه اختلاف قال هات ما اختلف عليك من ذلك قال :أسمع الله يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا واللهِ رَبِّنا ما كنَّا مُشْرِكينَ﴾ (الأنعام: ٢٣)، وقال :﴿ولا يَكتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤٢)، وأسمعه يقول :﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ولا يَتَساءَلُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠١) ثم قال: ﴿وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلي بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ (الصافات: ٢٧)، وقال : ﴿أَإِنَّكمْ لَتَكفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدادًا ذلِك رَبُّ الْعالمين .وجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وبارَك فِيها وقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها ولِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعًا أَوْ كرْهًا قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ ﴾ (فصلت: ٩ ـ ١١)، ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّماءُ بَناها .رَفَعَ سَمْكها فَسَوَّاها .وأَغْطَشَ لَيْلَها وأَخْرَجَ ضُحاها . والْأَرْضَ بَعْدَ ذلِك دَحاها﴾(النازعات: ٢٧ – ٣٠)

وأسمعه يقول: وكان الله .. ما شأنه يقول :وكان الله .. ؟.

فقال ابن عباس :"أما قوله ﴿ثُمَّ لَمْ تَكنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا واللهِ رَبِّنا ما كنَّا مُشْرِكينَ﴾ (الأنعام: ٢٣) فإنهم لما رأوا يوم القيامة أن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره، جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم فقالوا :واللهِ رَبِّنا ما كنَّا مُشْرِكينَ فختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعندئذ ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كفَرُوا وعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ولا يَكتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤٢)، وأما قوله :﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ولا يَتَساءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١) فإنه ﴿إذا نفخ في الصور فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ ومَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ ﴾ (الزمر: ٦٨)، ﴿ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ولا يَتَساءَلُونَ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ﴾(الزمر: ٦٨)، ﴿وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلي بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ (الطور: ٢٥).(٢)

(١) بحوث في أصول التفسير للصباغ ، بيروت ،١٩٨٨،ص٢٦٢.

(٢) عبد السميع ،عماد علي كتاب التيسير في أصول واتجاهات التفسير،دار الايمان ,٢٠٠٦،ص٥٧.

وأما قوله :﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، فإن الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سماوات في يومين بعد خلق الأرض وأما قوله والْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِك دَحاها، يقول :جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا..

وأما قوله :﴿وكانَ اللَّهُ ... ﴾ فإن الله كان ولم يزل كذلك وهو كذلك عزيز، حكيم، عليم، قدير، لم يزل كذلك، فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك، وأن الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب به الذي أراد ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١)

.وذكر الزركشي في البرهان أن رجلا سأل بعض العلماء عن قوله تعالى :﴿لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ﴾ (البلد: ١) فأخبر أنه لا يقسم بهذا البلد ثم أقسم به في قوله تعالى: ﴿وهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (التين: ٣)، فقال له العالم : أي الأمرين أحب إليك؟، أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟.

فقال السائل :بل اقطعني ثم أجبني فقال له :اعلم أن القرآن نزل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحضرة رجال وبين ظهراني قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمرا وعليه مطعنا فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا وجهلت فلم ينكروا فيه ما أنكرت ثم قال له: إن العرب قد تدخل (لا) في أثناء كلامها وتلغي معناها .

.ونظائر هذا في القرآن كثيرة منها - أيضا -: قال تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكما تُكذِّبانِ. فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ ولا جَانٌّ ﴾ (الرحمن: ٣٧ – ٣٩)، فأخبر هنا أنه :لا يسأل الإنس ولا الجن يوم القيامة عن أعمالهم، بينما في آيات أخرى أثبت أنه يسألهم من ذلك قوله تعالى : ﴿وأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ . وبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ . وقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كنْتُمْ تَعْبُدُونَ .مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (الشعراء: ٩٠ – ٩٣)، ﴿ ويَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (القصص: ٦٢)، ﴿ويَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ماذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٦٥)، ﴿وقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾ (الصافات: ٢٤) ،وحل الإشكال : أن السؤال المنفي هو سؤال الاستعلام والاستفهام عن الأمور المجهولة، فإنه لا حاجة إلي سؤالهم مع كمال علم الله تعالى وإحاطته بأعمالهم والسؤال المثبت هو سؤال تقريرهم بأعمالهم لتوبيخهم وإظهار أن الله حكم فيهم بعدله وحكمته .

ومن هذا يتبين لنا أهمية قضية المشكل وكيف يتصيد هذه المواضع أعداء القرآن ليحرجوا من لايعرفون كيف يزال إشكال المشكل.

---

(١) رواه الحاكم في كتاب التيسير في أصول واتجاهات التفسير .ص٥٨.

(٢) عبد السميع ،عماد علي كتاب التيسير في أصول واتجاهات التفسير،دار الايمان ,٢٠٠٦،ص٥٨.

٣- الحكمة من وجود مشكل القرآن الكريم :

قد تلمس العلماء جملة من الحكم في وجود الإشكال في بعض آيات القرآن الكريم، وذكروا أن منها(١):

أولا: قد كان من سنة كلام العرب أن تأتي بكلامها على ضربين مشهورين، الأول منها هو الواضح العاري عن الغموض والثاني هو ما لا بد من إعمال للذهن وشحذ له حتى يصل إلى المعنى المقصود من الكلام، لما فيه من كناية وإشارة وتشبيه واستعارة وتعريض ونحوها، مما يحتاج معه إلى مزيد تأمل وإمعان لفهم الخطاب، ولما كان هذا أحب الكلام إليها وأعذبه عندها وأطيبه في ذوقها، وأحلاه في أسماعها، نزل القرآن الكريم به لتكمل فصاحته ويتم بيانه ويعم إعجازه، ويظهر برهانه.

ثانيا: أن وجود الإشكال دافع للعزائم إلى الكشف عنها، فإن مع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة.

ثالثا: ظهور التفاضل بين العالم الكاشف عن المشكل بالتأمل والنظر والطلب، وبين الجاهل المأمور بالسؤال ليرفع عنه الإشكال، ولكل أجره، ولكن قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَةٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة] .

رابعا: أن في وقوع المشكل في القرآن الكريم ابتلاء من الله سبحانه وتعالى الحكيم في فعله وأمره، أن يقع الابتلاء لعباده، ليظهر المؤمن الموقن المصدق، ويمتاز الكافر المرتاب المكذب.

خامسا: إظهار ربانية مصدر القرآن الكريم، وما في ذلك من وجوه الإعجاز ، ففي الجواب عما يذكر من اعتراضات على القرآن الكريم وما فيه من المشكل، في الجواب عن ذلك بيان لصدق قوله تعالى: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء].

سادسا: تحصيل مزيد من العلوم الشرعية ،وغيرها، الضرورية في دفع الإشكال عن آي القرآن الكريم، وفي ذلك عظيم الأجر للمتعلم ممن صحت نيته.

كما أن المستشكل للقرآن الكريم وهو يرى من فتح الله عليه بالعلم فلم يشكل عليه منه شيء فيه مدعاة إلى التواضع للآخرين، واتهام النفس بالتقصير، وقد قال سبحانه: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف]. يقول الحسن البصري رحمه الله (ت ١١٠هـ): لَيْسَ عَالم إِلَّا فَوْقِهِ عَالَم حَتَّى يَنْتَهِي العلم إلى الله» (٢).

إن ماذكر بحاصر لحكم وجود المشكل في القرآن الكريم بل يمكن إضافة حكم أخرى بمزيد النظر والتأمل، والله أعلم.

---

(١) عبد الله بن حمد المنصور، مشكل القرآن ص١٠٥ وما بعدها، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٨٦)، والإتقان للسيوطي (٦٦٨).

(٢) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، (٤/٥٦٢).

دراسة لبعض الأمثلة التطبيقية لمشكل القرآن الكريم

المبحث الثاني: دراسة لبعض الأمثلة التطبيقية لمشكل القرآن الكريم

١-الإشكال الواقع بسبب تعارض الآية مع الحديث النبوي:

١- موضع الإشكال في الآية مع الحديث ووجهه:

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (البقرة: ٢٥٣)

مع الحديث المروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا، كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ - شَكَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ: لَا، وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، قَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، وَقَالَ: فُلَانٌ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لِمَ لَطَمْت وَجْهَهُ؟" قَالَ: قَالَ - يَا رَسُولَ الله - وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: " لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ متَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ."(١)

---

(١) أخرجه مسلم بن الحجاج، القشيري النيسابوري أبو الحسن، في "صحيحه" المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، كتاب الفضائل، باب فضائل موسى عليه السلام، ج٤، ص ١٨٤٣، رقم ٢٣٧٣.

٢- التعليق والمناقشة:

نجد أن هناك إشكال وارد بين الحديث والآية؛ وقد نص عليه غير واحد من العلماء، وأشار القرطبي رحمه الله - (ت: ٦٧١هـ) في "تفسيره" إلى ذلك بقوله :"وهذه آية مشكلة والأحاديث ثابتة بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تخيروا بين الأنبياء" و"لا تفضلوا بين أنبياء الله" رواها الأئمة الثقات أي لا تقولوا: فلان خير من فلان، ولا فلان أفضل من فلان"(١) . والشوكاني - رحمه الله - (ت: ١٢٥٠هـ) أيضا ممن نص على وجود الإشكال بينهما بقوله: "وقد استشكل جماعة من أهل العلم الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعا... إلى أن قال: وعندي أنه لا تعارض بين القرآن والسنة، فإن القرآن دل على أن الله فضل بعض أنبيائه على بعض، وذلك لا يستلزم أنه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض، فإن المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله لا تخفى عليه منها خافية وليست بمعلومة عند البشر، فقد يجهل أتباع نبي من الأنبياء بعض مزاياه وخصوصياته فضلا عن مزايا غيره والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلا وهذا مفضولا ،لا قبل العلم ببعضها أو بأكثرها أو بأقلها، فإن ذلك تفضيل بالجهل، وإقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له وهو ممنوع منه، فلو فرضنا أنه لم يرد إلا القرآن في الإخبار لنا بأن الله فضل بعض أنبيائه على بعض لم يكن فيه دليل على أنه يجوز للبشر أن يفضلوا بين الأنبياء، فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك؟ وإذا عرفت هذا علمت أنه لا تعارض بين القرآن والسنة بوجه من الوجوه، فالقرآن فيه الإخبار من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض، والسنة فيها النهي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه، فمن تعرض للجمع بينهما زاعما أنهما متعارضان فقد غلط غلطا بينا" (٢). وعبّر الشنقيطي-رحمه الله- (ت: ١٣٩٣هـ) عن الإشكال الواقع بينهما بقوله: "إشكال قوي معروف "(٣) ،ويتبين من خلال هذا العرض أن الإشكال الواقع في هذا الموطن هو في مسألة الجمع بين الآية والحديث النبوي، فقد يتوهم البعض وجود تعارض بينها، لأن الآية تنص على التفضيل بين الأنبياء، والحديث ينفيه.(٤)

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد أبوعبد الله الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ج٣، ص٢٦١.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ج ١، ص ٣٣٧.

(٣) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، خرج آياته وأحاديثه: محمد عبد العزيز الخالدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص ١٧٧.

(٤) تركي، نبيلة بنت حسن بن محمد،دراسة قرآنية لبعض الايات التي وقع فيها الاشكال،٢٠٢١،ص٣٦.

٣- الجواب ودفع الإشكال:

فمن العلماء من جمع بين الآية والحديث وأجابوا عن ذلك بأجوبة منها :[١]

١-أن النهي ورد قبل أن يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيد ولد آدم وأفضل الأنبياء فلما علم أخبر به إلا أن في هذا القول نظر كما يقول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)[٢]

٢-أن النهي من باب التواضع وهضم النفس ونفي الكبر والعجب، فقد جاء في حديث آخر: لا ينبغي لأحد أن يقول: "أنا خير من يونس بن متى عليه الصلاة والسلام "(٤) . (وهذا لا يسلم من الاعتراض).

٣-أن النهي عن تعيين المفضول، أما تفضيل بعضهم على بعض في الجملة دون تعيين المفضول فهو دلالة النصوص. إلا أن في هذا التوجيه نظراً، فالله عز وجل لما أخبر أنه فضل الرسل على بعض، عين في الآية بعض المتفاضلين وذكر بعض الوجوه التي فضلوا بها، فعمم ثم خص كما هو ظاهر من لفظ الآية، وقد عين الله عز وجل أولي العزم بالذكر وفضلهم على بقية الأنبياء.

٤-أن المراد بالنهي المنع من التفضيل من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها فهم متساوون فيها، وإنما التفاضل بالخصائص والمحن ونحوها. قال القرطبي: "وهذا قول حسن فإنه جمع بين الآيات والأحاديث من غير نسخ"(٥)

٥-أن المراد بالنهي منع التفضيل من عند أنفسنا لأن مقام التفضيل إنما هو إلى الله.

٦-أن المراد بالنهي منع التفضيل بمجرد الآراء والعصبية. وهذا قد يؤول إلى سابقه.

٧-أن المراد بالنهي منع التفضيل الذي يؤدي إلى الخصومة والتشاجر. فهذا التوجيه ملائم لسبب ورود الحديث.

---

(١) ينظر: ابن عطية، عبد الحق الأندلسي أبي محمد المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص ٣٣٨ ؛ ابن كثير، إسماعيل أبي الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة (دار طيبة الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج١، ص٦٧١؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣ ، ص ٢٦٢؛ الشوكاني فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج ١، ص ٣٣٧؛ الحكمي ،حافظ معارج القبول بشرح سلم الوصول، تحقيق: محمد حلاق، (السعودية: دار ابن الجوزي، ط١، د.ت، ج٣، ص ١٣٠٩ - ١٣١٠.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٦٧١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام، ج٤، ص١٨٤٦، رقم٢٣٧٦.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص٢٦٢.

٨- أن المراد بالنهي منع التفضيل الذي يؤدي إلى توهم النقص في المفضول، أو الغض منه، والإزراء به.

٩- ومن أهل العلم من يقول: إن الممنوع هو ما كان على سبيل العصبية والحمية بأن تحمل صاحبها على انتقاص الأنبياء والازدراء بهم، والتنزيل من قدرهم، فإذا أدت المفاضلة بين الأنبياء إلى هذا فتحرم. والفريق الآخر من أهل العلم من يقول: إنه لا حاجة لهذا الجمع أصلاً، ولا يجوز التفضيل بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على سبيل الخصوص، وأن الآية إنما هي إخبار من الله عز وجل على تفضيله بعض الأنبياء على بعض، ولذا ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى الناس أن يفضلوا بين الأنبياء؛ لأنه أمر ليس إليهم كما قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ).

وهذا الكلام فيه نظر، والجمع بين الأحاديث لا شك أنه أوفق، والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منح من الفضائل وأعطي من الوسائل. والله أعلم.(١)

---

(١) تركي، نبيلة بنت حسن بن محمد،دراسة قرآنية لبعض الايات التي وقع فيها الاشكال،٢٠٢١،ص٤٨.

٢- الإشكال الواقع بسبب خفاء المعنى:

١- موضع الإشكال في الآية ووجهه:

قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ (الاعراف: ٤)

وقع الإشكال في هذه الآية عند بعض المفسرين وبعض أهل اللغة من جهة العطف بالفاء في قوله سبحانه: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾ والذي يقتضي ظاهره أن المجيء بعد الإهلاك.

وقد أشار ابن جرير حمه الله - (ت: ٣١٠هـ) في "تفسيره" إلى الاعتراض الواقع عند البعض على ذلك، وأنه إنَّما وقع من جهة كون هلاك القرى لا يكون إلا مجيء بأس الله وحلول نقمته وسخطه بها، وأنه لا وجه لمجيء ذلك لقوم قد هلكوا وبادوا ولا يشعرون بما ينزل بهم ولا بمساكنهم.

٢- التعليق والمناقشة:

وقع في هذه الآية الكريمة إشكال عند بعض أهل اللغة في العطف بالفاء في قوله سبحانه: ﴿ فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ والذي يقتضي ظاهره أن المجيء بعد الإهلاك. وقد تبع أهل اللغة في ذلك بعض المفسرين الذين رأوا أن ظاهر الآية يوحي إلى أن مجيء البأس بعد الإهلاك وعقيبه، لأن الفاء تُعْطِي ذلك، لكن الواقع إنما هو مجيء البأس، وبعده يقع الإهلاك(١).

وأجاب بعض أهل العربية عن هذا الإشكال بقوله : أَنَّ فِي الْكَلَامِ مَحْذوفًا، لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُن الْكَلَامُ صَحِيحًا، وَأَنْ مَعْنَى ذَلِكَ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا، فَكَانَ مَجِيءُ بَأْسِنَا إِيَّاهَا قَبْل إِهْلَاكِنا لها.(٢)

واستدرك عليه ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) قائلا: "وَهَذَا قَوْلٌ لَا دَلَالَةَ عَلَى صحتِهِ مِنْ ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَلَا مِنْ خَبَرٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَإِذَا خَلَا الْقَوْلُ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى صحتِهِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ الَّتِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا كَانَ بَيْنا فَسَادُهُ"(٣)

---

(١) ينظر: السمين الحلبي ابن يوسف أبو العباس، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: علي محمد عوض وآخرون، (بيروت: دار الكتب العربية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج ٣، ص ٢٣٣؛ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٢، ص٣٧٣، فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن أبو عبد الله، التفسير الكبير" مفاتيح الغيب"، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج٥، ص ١٩٩.

(٢) ذكر ابن جرير جواب بَعْضُ أَهْل الْعَرَبِيَّة . ذلك، ولم يعينه وهو الفراء ينظر: الفراء، يحيى بن زياد، أبو زكريا، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (مصر: دارالمصرية للتأليف والترجمة، ط١، د.ت)، ج ١ ، ص ٣٧١؛ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ١٠، ص ٦٠.

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٠، ص٦٠.

وقد رد ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) على هذا القول؛ ودليله في ذلك ما أشرت إليه سابقا، من أن الأصل أن يحمل الكلام على ظاهره إلا أن يكون هناك دليل على أنه معني به غير ذلك؛ ولا توجد دلالة هنا على صحة هذا القول من ظاهر التنزيل، ولا من خبر يجب التسليم له، وأجاب عن ذلك بوجهين –سأذكرهما لاحقا:

فنلحظ من هذا المثال أن خفاء المعنى في الآية هو الذي أوقع بعض أهل اللغة وبعض المفسرين في استشكال الآية، وقد خطأ ابن جرير- رحمه الله- طريقة دفع الإشكال من خلال الادعاء بأن في الكلام محذوفا، وأورد الجواب عن فك هذا الإشكال في تفسيره.

ومن خلال استعراض أقوال المفسرين في دفعهم لهذا الإشكال يتبين الآتي:

٣-الجواب ودفع هذا الإشكال:

وقد أجاب العلماء عن ذلك بعدة أجوبة؛ وأنَّه لا إشكال في الآية ومنها:

١- إهلاك الله إيَّاهَا: خِذْلانه لها عن طاعته، ويكون مجيء بأس الله إيَّاهُمْ جَزَاء لمعصيتهم ربهم بخِذْلانِهِ إيَّاهُمْ. وقد ذكره غير واحد من المفسرين(١) وهذا الوجه هو أحد المعاني التي ذكرها ابن جرير (ت ٣١٠هـ) في تأويل الآية، وأراد بهذا المعنى حمل الآية على ظاهرها بلا حذف؛ وكذلك بلا توهم مخالفة الظاهر بسبب تأخر ذكر البأس بعد الهلاك.

٢- أن الفعل (أهلكناها) مستعمل في معنى إرادة الفعل، فحذف السبب وأبقى المسبب؛ أي: أردنا إهلاكها، كقوله: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ [المائدة:٦] ،﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ ﴾ [النحل: ٩٨]، اختاره: الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) وذكره غير واحد من المفسرين.

٣- أن الهلاك واقع ببعض القوم؛ فيكون التقدير: وكم من قرية أهلكنا بعضها فجاءها بأسنا فأهلكنا الجميع. ذكره القرطبي (ت: ٦٧١هـ)(٤) وغيره. وهذا القول يقتضي أن في الآية محذوفًا وهو (بعض).

---

(١) ينظر : المصدر السابق، ج١٠، ص٥٩؛ الماوردي، علي بن محمد أبو الحسن النكت والعيون، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية، (دت)، ج٢، ص ٢٠٠؛ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٢، ص٣٧٤، السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج٣، ص٢٣٣.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر أبو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،(بيروت: دار الكتاب العربي ، ط٣، ١٤٠٧هـ / ١٩٨١م)، ج ٢، ص ٨٧.

(٣) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٢، ص٣٧٤؛ الرازي، التفسير الكبير" مفاتيح الغيب"، ج٥، ص١٩٩، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص١٤٦.

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٤٦

٤- المعنى وكم من قرية أهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا. ذكره: الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، والرازي (ت: ٦٠٦هـ)، والقرطبي (ت: ٦٧١هـ)،والشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، والألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، وغيرهم.(١) وهذا القول يقتضي أن في الآية محذوفا وهو في حكمنا.

٥- أهلكناها بإرسالنا ملائكة العذاب إليها، فجاءها بأسنا وهو الاستئصال والبأس: العذاب الآتي على النفس. ذكره: الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، والقرطبي (ت :٦٧١هـ)، والشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) وغيرهم.(٢)

٦- أن يكون الإهلاك هو البأس بعينه. فيكون في ذكر الإهلاك الدَّلَالَةُ على ذكر مجيء البأس، وفي ذكر مجيء البأس الدَّلَالَةُ عَلى ذكر الإهلاك. وإذا كان ذلك كذلك، كان سواء عند العرب بُدِئَ بالإهلاك ثم عطف عليه بالبأس، أَوْ بُدِئَ بالبأس ثم عطف عليه بالإهلاك، وذلك كقولهم: زُرتُنِي فَأَكْرَمْتَنِي، إذ كانت الزيارة هي الكرامة، فسواء عندهم قدم الزيارة وأخر الكرامة أو قدم الكرامة وأخر الزيارة، فقال: أَكْرَمْتَنِي فَزُرْتَنِي. وهو قول: الفراء (ت: ٢٠٧هـ)(٤) ، وحكى هذا القول غير واحد من المفسرين ، وحكاه أيضًا ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) في "تفسيره" (٤) وهو الوجه الآخر في تأويل الآية عنده وقد ضعفه السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ).(٣)

والقول بهذا القول أفضل من القول بالحذف؛ لكن الوجه الأول الذي ذكره أحسن منه لأن مقتضى هذا القول أن المعنى جرى على التأكيد لا على التأسيس.

٧- أن الكلام جرى على طريقة القلب والأصل: جاءها بأسنا فأهلكناها. ذكره ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، ورده . وهو ضعيف لأن القلب خلاف الأصل.(٥)

٨-أنّ الفاء قد تجيء بمنزلة الواو ولا تعطي رتبة: أهلكناها وجاءها البأس بياتا، وهو قول : الفراء (ت: ٢٠٧هـ). واستدرك ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) على هذا القول.

٩-أن الفاء للترتيب الذكري ذكره الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، وابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ).(٦)

(١) ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج٢، ص ٢٠٠ ؛ الرازي، التفسير "الكبير" مفاتيح الغيب"، ج٥، ص١٩٩؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٤٦ ؛ الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير، ج٢، ص ٢٤٠..

(٢) الفراء، معاني القرآن، ج١، ص٣٧١.

(٣) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٢، ص٣٧٤؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص١٤٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨،ص٢٠.

(٤) السمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، ج٣، ص٢٣٣.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨،ص٢٠.

(٦) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، ج٨، ص٤٤٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٢١.

١٠- أن المعنى قاربنا إهلاكها فجاءها باسنا؛ فأهلكناها ذكره: الزركشي (ت: ٧٩٤هـ (١). وهذا القول يقتضي أن في الآية محذوفا وهو قاربنا.

١١- أن الكون مضمر في الآية تقديره أهلكناها وكان بأسنا قد جاءها، فأضمر الكون كما أضمر في قوله : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: ما كانت الشياطين تتلوه، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ يَسْرِقْ ﴾ [يوسف: ٧٧]. أي: إن يكن سرق. ذكره ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)(٢) .

وهو كقول الفراء (ت: ٢٠٧هـ:) "وإن شئت كان المعنى وكم من قرية أهلكناها فكان مجيء البأس قبل الإهلاك فأضمرت كان".(٣) وهو القول الذي ذكره ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) وضعفه.

وبعد سرد هذه الأقوال، يتضح أنّ ما ذهب إليه ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) هو الأولى؛ وعليه فإن استدراكه على من ذهب إلى أن في الكلام محذوفا- في محله؛ ، لأن الأصل أن يحمل الكلام على ظاهره إلا أن يدل دليل على خلاف ذلك، ولا دليل على الحذف هنا. وأخذا بقاعدة: "القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار"(٤) وطالما لم يقم دليل على الحذف فلا تصح دعواه.

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "والذي عليه المحققون أن الترتيب في فاء العطف قد يكون الترتيب الذكري، أي ترتيب الإخبار بشيء عن الإخبار بالمعطوف عليه. ففي الآية أخبر عن كيفية إهلاكهم بعد الخبر ،بالإهلاك، وهذا الترتيب هو في الغالب تفصيل بعد إجمال، فيكون من عطف المفصل على المجمل ... وهذا من أساليب الإطناب وقد يغفل عنه".(٤)

وهكذا فقد استشكل بعض المفسرين من الآية ما لا إشكال فيه، إِذْ ظَنُّوا أَنَّ عَطْفَ "جَاءَهَا" عَلَى "أَهْلَكْنَا" بالفاء يفيد أن مجيء البأس وقع عقب الإهلاك وهو مُحَالٌ لأنه سَبَبُهُ، غافلين عن كونه بيانًا تَفْصِيلِيًّا لنوعين منه، أحدهما ليلى والآخر نهاري.

---

(١) بدر الدين الزركشي، محمد بن عبدالله البرهان في علوم القرآن خرج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العربية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج ٤، ص ٣٢٠.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٣، ص ١٦٨.

(٣) الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٧١.

(٤) ينظر: الحربي، حسين بن علي، قواعد الترجيح عند المفسرين "دراسة نظرية تطبيقية"، راجعه وقدم له: مناع بن خليل القطان (الرياض دار القاسم، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص ٤٢١.

(٥) ابن عاشور التحرير والتنوير ، ج٨ ، ص ٢١.

٣- الإشكال الواقع بسبب التقديم والتأخير:

١- موضع الإشكال في الآية ووجهه:

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٨-٩٩].

٢- التعليق والمناقشة:

الإشكال في هذه الآية: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِنِينَ﴾ في قول يوسف عليه السلام ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم هل هو قبل دخولهم مصر حين تلقاهم أو بعده؟وروي عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قوله: «قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ. وَبَيْنَ ذَلِكَ مَا بَيْنَهُ مِنْ تَقْدِيمِ الْقُرْآنِ»(١)

وقد ذكر ابن جرير - رحمه الله - (ت: ٣١٠هـ) في تفسيره إشكالاً – يعرض في الذهن وهو: أن ابن جريج (ت: ١٥٠هـ) يذهب إلى أنهم قد دخلوا مصر، فكيف يقول: ادخلوا مصر إن شاء الله؟ واستدرك على هذا القول بقوله: «فَلَا دَلَالَةَ تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَلَا وَجْهَ لِتَقْدِيمِ شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَنْ مَوْضِعِهِ أَوْ تَأْخِيرِهِ عَنْ مَكَانِهِ إِلَّا بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ»

٣-الجواب على ذلك قد اختلفوا فيه على قولين:

١- إن يعقوب إنّما دخل على يوسف هو وولده، وآوى يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر؛ وذلك أن يوسف تلقى أباه تكرمةً له قبل أن يدخل مصر، فآواه إليه، ثم قال له ولمن معه : ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ بها. قبل الدخول، وهو قول السدي (ت: ١٢٧هـ)، وفرقد السبخي(ت: ١٣١هـ).

٢- قوله: ﴿ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ، استثناء من قول يعقوبَ لبنيه: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ . قال : وهو من المؤخر الذي معناه التقديم. قالوا: وإنما معنى الكلام: قال: أستغفر لكم ربي إن شاء الله، إنه هو الغفور الرحيم. فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال: ادخلوا مصر ورفع أبويه. وهو القول الذي قاله ابن جريج (ت:.١٥٠هـ) .

قال ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) : (يعني ابن جريج بقوله: وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن أنه قد دخل بين قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ ، وبين قوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللهُ ﴾ من الكلام ما قد دخل، وموضعه عنده أن يكون عَقِيب قوله: "سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي" (٢)

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره" جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٣، ص٣٥١ عن القاسم.

(٢) المصدر نفسه، ج١٣، ص٣٥١.

واختار ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) ما قاله السُّديُّ (ت: ١٢٧هـ)، لدلالة ظاهر التنزيل على قوله واختاره الرازي (ت: ٦٠٦هـ) . (١) ،فالاستثناء على هذا القول عائد على الدخول.

واعترض على قول ابن جريج (ت: ١٥٠هـ) لعلتين:

١- لا دلالة على صحة ما قاله.

٢- أنه لا وجه للتقديم والتأخير في كتاب الله إلا بحجة واضحة.

وعلى قول ابن جريج (ت: ١٥٠هـ) فإن التقييد بالمشيئة راجع إلى قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾. وقد ذكر المفسرون هذين القولين وأقوالاً أخرى غيرها (٢).

ووافق ابن عطية (ت: ٤٥٢هـ) - الطبري فيما ذهب إليه في اعتراضه على قول ابن جريج- فقال: «وفي هذا التأويل ضعف»(٣)

ووافقه ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) كذلك في اعتراضه، إلا أنه استدرك عليه في اختياره فقال: «وقَدْ أُشكِلَ قوله: ﴿ أَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ﴾ . على كثير من المفسرين، فقال بعضهم: هذا من المقدم ،والمؤخر ومعنى الكلام: ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ﴾ . وآوى إليه أبويه، ورفعهما على العرش.

وقد رد ابن جرير هذا. وأجاد في ذلك. ثم اختار ما حكاه عن السدي: أن يوسف آوى إليه أبويه لما تلقاهما، ثم لما وصلوا باب البلد قال: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ . وفي هذا نَظَر أيضًا؛ لأن الإيواء إنما يكون في المنزل، كقوله: ﴿أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ [يوسف: ٦٩]. وفي الحديث: «مَنْ آوَى مُحْدِثًا»(٤)، وما المانع أن يكون قال لهم بَعْدَمَا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَآوَاهُمْ إِلَيْهِ : ادْخُلُوا مِصْرَ. وضمنه: اسْكُنُوا مِصْرَ» (٥).

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، ج٦، ص٥١٠.

(٢) ينظر الخازن علي بن محمد لباب التأويل في معاني التنزيل ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٢، ص٥٥٦؛ الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج٣، ص٦٨.

(٣) ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٣، ص ٢٨١.

(٤) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله في "صحيحه" الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب: إثم من آوى محدثا، ج٩، ص ١٠٠، رقم (٧٣٠٦)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، ج ٣، ص ١٥٦٧، رقم ٤٣ (١٩٧٨).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٤١١.

كذلك استبعد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) القول بأن التقييد بالمشيئة راجع إلى قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾. وبين أنه لا مانع من عوده على الجميع، أي: الأمن، ودخولهم، لأن دخولهم لا يكون إلا بمشيئة الله سبحانه كما أنهم لا يكونون آمنين إلا مشيئته (١).

والذي يظهر - والله أعلم - أن استدراك ابن جرير هنا (ت: ٣١٠هـ) على ابن جريج (ت: ١٥٠هـ) في محله؛ لأن حمل الآية على ظاهرها هو الأولى، ولأن الأصل في تفسير الكلام أن يفسر على ترتيبه في النَّظْم.

---

(١) الشوكاني ،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،ج٣ ،ص٦٨.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث المتواضع أحمده سبحانه وأشكره على ما يسره لي من إنجاز هذا البحث وهداني إليه هذا وقد خلصت في هذا البحث إلى النتيجة الآتية:

(١) بتوالي العصور والأزمنة يتزايد الإشكال والتوهم، وذلك نظرًا لبعد الناس عن المعرفة والعلم، وانشغالهم بالدنيا وما فيها، ولا غرابة في ذلك الأمر، فقد وقع الإشكال لبعض الصحابة في عهد النبي.

(٢) وفي الحقيقة، إن الكلام عن مشكل القرآن لا يمكن أن تنفرد به دراسة واحدة، أو حتى عدة دراسات، بل لا بد من تجتمع له العصبة أولو القوة في العلم، الذين يأخذون على عاتقهم تحمل أمانة دفع الإشكال عن الآيات القرآنية، وفق المنهج العلمي الترجيحي، متى أمكن لهم ذلك.

(٣) وأن معرفة المشكل في القرآن الكريم وكيفية دفعه من العلوم المهمة التي ينبغي توافرها لمن أراد أن يفسر كلام الله، ولا بد لمن أراد التمرس في ذلك من الرجوع إلى أقوال العلماء المحققين ومعرفة كيفية طرائقهم في دفع الإشكال، علما بأن البعض الإشكالات التي تقع قد يعرضها المفسر لطارئ يطرأ في الذهن، فالإشكال فيها نسبي قد يشكل على أحد ما لا يشكل على الآخر ؛ فتعرض لمفسر دون آخر، وتعرض لأفراد دون آخرين، هذا مع ما ظهر من عناية المفسرين في توجيههم لتلك الإشكالات التي تقع ودحضهم لكل الشبه بالأدلة والبراهين.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،

(٢) ابن كثير، إسماعيل أبي الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة (دار طيبة الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

(٣) ابن عطية، عبد الحق الأندلسي أبي محمد المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ).

(٤) إبن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم تأويل مشكل القرآن،تحقيق :شمس الدين إبراهيم ،دار الكتب العلمية،٢٠٠٢.

(٥) ابن منظور ، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى ،لسان العرب ،الناشر: دار صادر – بيروت،٢٠١٠.

(٦) أبو الفضل محمود الألوسي. روح المعاني لتفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

(٧) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله في "صحيحه" الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ).

(٨)الحربي، حسين بن علي، قواعد الترجيح عند المفسرين "دراسة نظرية تطبيقية"، راجعه وقدم له: مناع بن خليل القطان (الرياض دار القاسم، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، ص ٤٢١.

(٩) الحكمي ،حافظ معارج القبول بشرح سلم الوصول، تحقيق: محمد حلاق، السعودية: دار ابن الجوزي، ط١.

(١٠) الخازن علي بن محمد لباب التأويل في معاني التنزيل ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(١١) الزمخشري، محمود بن عمر أبو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،(بيروت: دار الكتاب العربي ، ط٣، ١٤٠٧هـ / ١٩٨١م).

السعود، صالح بن سعود، طرق دفع الإشكال في آيات القرآن، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية،٢٠١١.

(١٢) السمين الحلبي ابن يوسف أبو العباس، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: علي محمد عوض وآخرون، (بيروت: دار الكتب العربية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

(١٣) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور،تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ،دار الفكر بيروت ،٢٠٠٦.

(١٤) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، خرج آياته وأحاديثه: محمد عبد العزيز الخالدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م).

(١٥) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م).

(١٦) الصباغ ، محمد بن لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير ، بيروت ،١٩٨٨.

(١٧) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

(١٨) الطبري ،أبي جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل أي القرآن. دار علم الكتب، الرياض، ط١، ٢٠٠٣.

(١٩) الماوردي، علي بن محمد أبو الحسن النكت والعيون، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية. (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ).

(٢٠) بدر الدين الزركشي، محمد بن عبدالله البرهان في علوم القرآن خرج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العربية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

(٢١) تركي، نبيلة بنت حسن بن محمد،دراسة قرآنية لبعض الايات التي وقع فيها الاشكال،٢٠٢١.

(٢٢) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤-١٩٧٤.

(٢٣) عبد السميع ،عماد علي كتاب التيسير في أصول واتجاهات التفسير،دار الايمان ,٢٠٠٦.

(٢٤) عبدالله المنصور. مشكل القرآن الكريم- بحث حول استشكال المفسرين لآيات القرآن الكريم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار ابن الجوزي،١٤٢٦هـ.

(٢٥) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن أبو عبد الله، التفسير الكبير" مفاتيح الغيب"، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

(٢٦) الفراء، يحيى بن زياد، أبو زكريا، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (مصر: دارالمصرية للتأليف والترجمة، ط١).

(٢٧) الفيروز آبادي ،محمد بن يعقوب مجد الدين،القاموس المحيط، الناشر ـ دار الحديث ،القاهرة ،٢٠٠٦.
(٢٨) القرطبي، محمد بن أحمد أبوعبد الله الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
(٢٩)محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد). الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.
(٣٠) مسلم بن الحجاج، القشيري النيسابوري أبو الحسن، في "صحيحه" المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،)، كتاب الفضائل، باب فضائل موسى عليه السلام.